

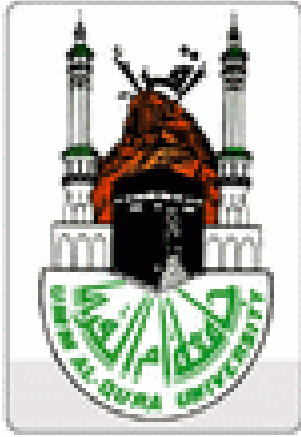
أبي  
الحرث  
العربي

دراسات

# تلقي رسالة الغفران في النقد العربي الحديث

تحقيق

مسعود صالح مساعد الجهني



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات العليا

تخصص الأدب والنقد

تلقي رسالة الغفران في النقد العربي الحديث

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

في الأدب والنقد

إعداد الطالب:

مسعود صالح مساعد الجهني

الرقم الجامعي / ٤٣٣٨٨٣٣٢

إشراف الأستاذ الدكتور:

صالح سعيد الزهراني

العام الدراسي (١٤٣٦هـ/١٤٣٧هـ)

## المقدمة:

البحث ومسائلة التراث العربي ضرورة حتمية للارتقاء الفكري والأدبي في العصر الحديث؛ وذلك يعود إلى غنى وثراء التراث العربي القديم، بشتى مجالاته المعرفية، فالبحث ومسائلة هذا التراث هو كشف للقدرة الإبداعية الكامنة في هذا التراث، فالأعمال الإبداعية لها القدرة على ما يسمى "تكرار التجلي"؛ لذلك تكثر القراءات، وتتنوع الأعمال الإبداعية في كل عصر وزمن، فالعمل الإبداعي لا يكشف عن نفسه مرة واحدة، بل تتوالى الانكشافات الإبداعية للعمل الواحد أكثر من مرة واحدة، وعلى ضوء هذا المفهوم للإبداع فالمسائلة وإعادة قراءة التراث العربي والأدبي منه بوجه خاص هو امتداد لمسيرة هذا التراث الإبداعي وليس انقطاعاً عنه، فالقطيعة المعرفية هي قطيعة في المرجعيات المعرفية، فاستحضار الأعمال التراثية ومحاولة استنطاقها وملء الفراغات المتنوعة في نصوصها هو إحياء لها، فالإحياء ليس في تكرارها وإعادة نشرها، بل في توسيع أفقها من خلال طرح الأسئلة الجديدة عليها، فحضور التراث في استنطاقه لاستخراج مكنوناته الإبداعية، وبالعودة إلى أدبيات الفكر الإسلامي يبرز مفهوم الاجتهاد - الذي يحمل في طياته قلق السؤال - كأهم ركيزة للممارسات الفكرية الذي يشكل العمل الإبداعي تنويجاً لها.

ففي هذا البحث قمت باستعادة نصّ إبداعي "رسالة الغفران" قادم من التراث العربي - الزاخر بنصوصه الإبداعية - فالاستعادة تمت من خلال القراءات النقدية الحديثة التي دارت حول هذا النص، وشكلت جدلاً واسعاً في ساحة النقد الأدبي المعاصر.

## مشكلة البحث:

شكل نتاج المعري شعراً وثنراً جدلاً كبيراً في ساحة النقد الأدبي المعاصر، فقد تعددت أشكال التلقّي لهذا التراث الأدبي.

وتأتي "رسالة الغفران" بوصفها أثراً أدبياً من أهم الآثار الأدبية للمعري التي شكلت جدلاً وتبايناً في أشكال وطرق التلقّي في النقد العربي الحديث، ونظراً لوجود



اشكاليات معرفية ومنهجية في كثير من القراءات النقدية الحديثة جاء هذا البحث محاولة لاكتشاف تلك الاشكاليات والوقوف على أسبابها ومحاولة تقويمها

### أهداف البحث:

- ١- الكشف عن أنماط التلقّي في العصر الحديث من خلال نص "رسالة الغفران".
- ٢- بيان الأبعاد الحضارية والتاريخية لتلقي النصوص الأدبية "رسالة الغفران".
- ٣- تقديم نموذج نصي يوضح الجدل الذي عاشه الناقد الحديث مع النصوص الأدبية التراثية.
- ٤- رسم خط زمني لحضور النظريات الأدبية المعاصرة من خلال القراءات التي كتبت عن رسالة الغفران.
- ٥- فتح الآفاق لإعادة قراءة النصوص التراثية من جديد.
- ٦- وضع تصور منهجي لتحولات تلقي نص رسالة الغفران.

### أسئلة البحث:

- ١- ما الخلفية التاريخية والحضارية التي رافقت ظهور أبي العلاء المعري في العصر الحديث؟
- ٢- ما أنماط تلقي رسالة الغفران؟
- ٣- ما الذي كشفته هذه الأنماط من قيم؟
- ٤- ما علاقة هذه الأنماط بالحياة بتحويلات الثقافة العربية المعاصرة؟

### منهج البحث:

تعتمد هذه الدراسة على الوصف والتحليل مع الاستعانة بالمنهج التأويلي وآلياته في تلقي النصوص وقراءتها وفق نظرية التلقي، أو ما يسمى مدرسة "جمالية التلقي" التي اهتمت بفعل التلقّي الأدبي، هذا الفعل الذي يمثل الجانب المهمل في تاريخ النظرية الأدبية، وذلك من خلال الوصف والتحليل للكتابات النقدية الحديثة التي

تناولت رسالة الغفران.

### الدراسات السابقة:

١- نظرية التلقّي وجماليات إبداع الدلالة في رحلة رسالة الغفران، أمال فرفار، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ماليزيا، ٢٠١١، السنة الثانية، العدد: الأول.

تناولت الكاتبة في هذه المقالة الموجزة بعض أصداء تلقي رسالة الغفران في النقد الحديث، فهذه المقالة تعد الدراسة الوحيدة - حسب اطلاعي - التي تطرقت لما كُتِبَ عن رسالة الغفران بمنهجية حديثة، ومما يؤخذ على هذه المقالة الاختزال في عرض الجهود النقدية التي كتبت عن رسالة الغفران، وعدم توظيف مفاهيم نظرية التلقّي، بل اكتفت بالمقارنة الشكلية لرسالة الغفران.

٢- النص وتفاعل المتلقي: في الخطاب الأدبي عند المعري، تأليف: حميد سمير، دار النشر: منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ط: ١، سنة النشر: ٢٠٠٥م.

نظرية التلقّي التي قارب بها الباحث أدب المعري، أثبتت جدارته العلمية وملائمته التطبيقية لدراسة النصوص الفنية التي تتضح عبقرية وجدة وأصالة كما هو شأن نصوص المعري فهذه الدراسة شكلت تحولا في قراءة نتاج المعري - شعرا ونثرا - وذلك بتغيير بؤرة القراءة من الانشغال بالمؤلف الى التركيز على المتلقي وحضوره في نصوص أبي العلاء وهذا ما دعا لقراءات جديدة لنتاج أبي العلاء وهذا من ابرز ما قدمته هذه الدراسة الرائدة.

٣- النص القديم بين آليات إنتاجه وجمالية تلقيه، المؤلف: سعيد بكو، دار عالم الكتب، أريد، ط: ١، ٢٠١٣م.

تسعى هذه الدراسة إلى توصيف العلاقة المتوترة بين المبدع والمتلقي وما شابها من تناقضات وتوصيفات خرجت بها عن سياقاتها النصية.

٤ - أبو العلاء المعري أو متاهات القول، تأليف: عبدالفتاح كيليطو، دار توبقال، الرباط، ط: ١، ٢٠٠٢

يبحث المؤلف في هذا الكتاب عن المتاهات التي سعى المعري لنصبها للمتلقى وذلك بنصب متاهات أخرى من صنيعه فمتاهات القول عند كيليطو هي سيرورة لا تتوقف وهذا يمثل أحد أهم أركان منهجه في قراءة النصوص لذلك لا نستطيع القبض على منهجه واضحة في قراءته لذلك يصنف بعض النقاد قراءات كيليطو ضمن القراءات الانطباعية ويدرجها آخرون ضمن القراءة الابداعية

### خطة البحث:

تلقي رسالة الغفران من المنعطفات التاريخية المهمة في مسيرة النقد الأدبي الحديث، فنص رسالة الغفران من أوائل النصوص التراثية التي تم استدعاؤها في بدايات عصر الأحياء مطلع القرن الماضي، حيث شكل استدعاء رسالة الغفران ونصوص تراثية أخرى -مثل المقامات- حراكًا ثقافيًا ونقديًا واسعًا في تاريخ النقد الأدبي الحديث، وذلك يعود لأهمية هذه النصوص في ذاكرة الأدب العربي، فجاء تلقي هذه النصوص امتحانًا لمقدرة النقد الحديث في فهم التراث الأدبي المكون الأبرز لحركة الإحياء ولم يتوقف هذا الاستدعاء عند مرحلة الإحياء بل امتد ليواكب مسيرة النقد الحديث، فارتحال هذه النصوص بين أزمنة النقد الأدبي الحديث يدل على اتساع الفضاء التأويلي لها، وتدرج هذه النصوص تحت مصطلح "النص المفتوح"، أي النص الذي يملك القابلية للتجريب وتعدد القراءات، وتمثل رسالة الغفران كبرى هذه النصوص الأدبية التي خضعت لتعدد القراءات وتباينها، فجاءت هذه الدراسة لتتبع رحلة هذه النصوص وما واكبها من حراك نقدي وثقافي تجلت أهم ملامحه في تلقي رسالة الغفران.

تكونت خطة البحث من فصلين، جاء الفصل الأول وتحتته ثلاثة مباحث، والفصل الثاني وتحتته مبحثان، تسبقهما مقدمة وتمهيد، و تتلوها خاتمة، فجاء التمهيد ليكشف عن طبيعة التلقي القديم لرسالة الغفران "بناء الأفق" التي شكلت جزءًا من نتاج المعري النثري، فالتلقي القديم لرسالة الغفران لم يكن تلقيًا يعزل النصوص عن بعضها

البعض؛ بل يدمجها ضمن خطاب موحد، فتلقي رسالة الغفران جزء من تلقي رسالة الملائكة، وكتاب الفصول والغايات، فالمتلقي القديم يقرأ هذه النصوص النثرية قراءة كلية فلا تتفصل النصوص عن بعضها البعض؛ بل تتكامل لتشكّل نصًّا موحدًا ذا عناوين متعددة، فجاءت المقدمة لبيان أهم الملامح التي شكّلت طبيعة التعاطي مع الخطاب النثري لأبي العلاء الذي بنى أفق انتظار النص.

**أما الفصل الأول** جاء تحت عنوان "القراءة المرجعية" وتحتّه ثلاثة مباحث: **المبحث الأول** بعنوان: "توثيق النص"، فالنص القادم من التراث مر بمراحل من الملاحقة النصية للبحث عن النص في صورته الكاملة، فكثير من النصوص التراثية نقلت إلينا عن طريق المدونات الكبرى في التراث، فنقرأ في هذه المدونات نصوصًا مقتطفة من النص الأصلي، فالنص الأصلي ظل غائبًا عن أعين الكثير من المتلقين، فكان حكمهم على هذه النصوص مرتبطًا بالمدونة التي ذكر فيها، ومع بداية عصر الإحياء أشار كثير من المستشرقين إلى النصوص الكبرى في التراث العربي كنصوص ذات طابع مستقل، وحاولوا لملمة أطرافها، فكانت رسالة الغفران من أهم هذه النصوص التي شغلت المستشرقين؛ وذلك لتشابه بينها وبين جحيم دانتي في الجانب الشكلي والموضوعاتي، وأيضًا لغلبة مناهج الأدب المقارن في تلك الحقبة، فالبحث عن توثيق النص لم يقف على المستشرقين بل امتد إلى كبار النقاد في عصر الإحياء، مثل: البستاني، وطه حسين، وعباس العقاد. فالبحث عن توثيق النص عند رواد النهضة لم يكن بحثًا عن النص من أجل التوثيق فقط، بل كان يهدف إلى توسيع آفاق القراءة النقدية لهذه النصوص.

**المبحث الثاني:** وهو التلقّي النقدي الذي يجيء بعد توثيق النص ولملمة شتاتته للذهاب بعيدًا في قراءة النص، ويتكرر هذا المسعى عند أهم من بحثوا عن توثيق النص، وهي الناقدة الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئي)، فمع بنت الشاطئي نصل إلى التكامل التوثيقي لرسالة الغفران بإضافة نص رسالة ابن القارح لرسالة الغفران لتشكّل نصًّا واحدًا.

وبعد توثيق النص ومناوشته بالكثير من الأحكام النقدية التي اتسمت في الكثير من أحكامها بالانطباعية، جاءت مرحلة احتد فيها السجال حول هذه النصوص التراثية، فكانت رسالة الغفران هي المضمار الأبرز لهذا السجال، جاء **المبحث الثالث** تحت عنوان: "التلقي الثقافي"، وقد بدأ هذا السجال الثقافي حول رسالة الغفران عندما كتب لويس عوض مقالاته في جريدة الأهرام بعنوان: على هامش الغفران، فأثار الكثير من القضايا والموضوعات الثقافية، وحاول ربطها بحياة ونتاج أبي العلاء المعري، فمن تلك القضايا: قدرة العقل العربي على الإبداع والابتكار، وعلاقة الشرق بالغرب، والعودة إلى مسألة التأثر والتأثير، فأثار ذلك حفيظة الشيخ محمود شاكر، فرد على مزاعم لويس عوض في مقالات متتالية في مجلة الرسالة، ثم ضمها بعد ذلك في كتابه (أباطيل وأسما)، فجاء هذا المبحث لتقصي هذا السجال ومحاولة قراءته قراءة نقدية تكشف عن طبيعة الصراع الذي عاشه كثير من النقاد مع هذه النصوص الكبرى.

## الفصل الثاني جاء تحت عنوان: "التلقي النصي" وفيه مبحثان

### ١. التلقي اللغوي

### ٢. التلقي السردى.

**المبحث الأول:** بعد أن تم إنجاز الكثير من القراءات المرجعية التي تتخذ من السياقات الخارجية مرجعية كبرى لتأويل النص \_ رسالة الغفران \_ أصبحت الحاجة ملحة لظهور قراءات تتخذ من النص وبنيته اللغوية مرجعية نهائية في قراءة النص، فكتب الدكتور أمجد الطرابلسي كتابه ( النقد واللغة في رسالة الغفران )، وسعى من خلاله لتثبيت هذه القراءة النصية، لكنه وقع في الكثير من الانزياحات عن البنية اللغوية لرسالة الغفران، فجاءت الدكتورة فاطمة الحبابي لتصحيح هذا المسار بإنتاج قراءة تتخذ من لغة النص \_ رسالة الغفران \_ مرجعية وحيدة لكتابتها ( لغة أبي العلاء في رسالة الغفران )، وتخلل هذه القراءات اللغوية الكبرى لرسالة الغفران بعض المراجعات اللغوية حول لغة الرسالة، كان أهمها مراجعة الدكتور ابراهيم السامرائي في كتابه ( مع المعري اللغوي )، لكن هذا المسار اللغوي في تلقي رسالة الغفران أثار بعض الإشكاليات لدى المتلقي المعاصر، كان أهمها غياب سؤال الأدبية عن أفق



المتلقي، وذلك يعود لإصرار بعض اللغويين - الطرابلسي - على هامشية الجانب التخيلي في بنية الرسالة، ونفي المقصدية الفنية عند أبي العلاء عند كتابته للرسالة. ف جاء هذا المبحث لتتبع هذه القراءات اللغوية بالوصف، والتحليل، والنقد، سعياً لإبراز أهم مزايا وعيوب التلقي اللغوي.

**المبحث الثاني:** لم يكن التلقي اللغوي هو الوحيد الذي سعى لمحاصرة النص والتقليل من أهمية السياقات الخارجية في قراءة الأعمال الأدبية، بل ظهرت هناك الكثير من المناهج النقدية المعاصرة التي تنتهج هذا النهج في القراءة - البنيوية، السميائية - فكان نصيب رسالة الغفران أن تشتبك مع هذه المناهج الحديثة على ساحة النقد الأدبي الحديث، فأول من حاول فتح الباب لمثل هذا القراءات حسين الواد الذي سعى لتطبيق الإنشائية البنيوية للكشف عن القوانين القصصية التي تكمن في عمق النص وتشد بنيته، ثم توالى بعض القراءات التي تتأرجح بين المنهجية - التي صرحت بمنهجها في قراءة النص - والتأويلية في قراءة الغفران، فكان أهم هذه القراءات قراءة الدكتور صفوت الخطيب " الأصول الروائية في رسالة الغفران"، وقراءة الدكتور إسلام الحسن " الظاهرة الملحمية والدرامية في رسالة الغفران"، وقد ختمت هذه القراءات - السردية - بقراءة " البنية العميقة في رسالة الغفران " الذي حاول من خلالها إعادة سؤال المنهجية وطرحه من جديد على نص الرسالة بعد غيابه في ظل القراءات التأويلية، ف جاء هذا المبحث ( التلقي السردى ) لتتبع هذه القراءات والكشف عن منطقتها الداخلي، وأهم المؤثرات التي وجهتها أثناء عملية القراءة

وبعد نهاية الفصل الثاني وضعت **خاتمة**، تم فيها عرض أبرز معالم الرسالة وما توصل إليه الباحث من أحكام - قابلة للمراجعة - مع إدراج التوصيات التي يراها الباحث ضرورية.

## تمهيد: رسالة الغفران والمتلقي القديم

علاقة المتلقي - القديم - بنصوص أبي العلاء المعري علاقة متوترة لا تقوم على الحوار مع النص وبنيته الدلالية كفضاء مستقل، بل تركز على فرضيات مسبقه أملتها السمعة السيئة التي حاقت بأبي العلاء جراء تأويل بعض نصوصه الملتبسة التي حذرنا أبو العلاء مما يحيط بها من لبس دلالي فرضته طبيعة التجربة العلائية - اللغوية والفكرية - وخصوصيتها، فهو يقول ليحذرنا من الفهم المتعجل لنصوصه:

«حق مثلي أن لا يسأل، فإن سئل تعين عليه أن لا يجيب، فإن أجاب ففرض على السامع أن لا يسمع منه، فإن خالف باستماعه ففريضة أن لا يكتب، فإن كتب فواجب أن لا ينظر فيه، فإن نظر فقد خبط خبط عشواء. وقد بلغت سن الأشياخ وما حاز بيدي نفع من هذا الهذيان»<sup>(١)</sup>.

يشكل النص السابق مدخلا مهمًا لقراءة نتاج أبي العلاء المعري، فالمعري في النص السابق يقر بخيبته تجاه المتلقي القديم لنصوصه؛ لذلك، فهو يحذره من سؤاله، أو الاستماع إلى جوابه؛ لأن ذلك سوف يؤدي به إلى العمى عن مسالك المعنى، فالنص السابق ليس إسرافاً من أبي العلاء في تواضعه كما ذهب بعض المحدثين «لقد بدأ أبو العلاء فأسرف في تواضعه...»<sup>(٢)</sup>، «وليس هذا بشيء فقد جرى عليه في أغلب رسائله»<sup>(٣)</sup>، المتتبع لسيرة المعري المستقاة من كتبه يجد خلاف ذلك، فالمعري يظهر معتدا بعلمه ونفسه قال في رسالته إلى خاله أبي القاسم: «منذ فارقت العشرين من العمر ما حدثت نفسي باحتذاء العلم من عراقي ولا شامي»<sup>(٤)</sup>. لذلك لا بد من التعاطي مع هذا القول، أو ما شابها من أقوال أبي العلاء الدالة على فقدان ثقته في المتلقي في مقارنة نصوصه الشعرية والنثرية على أنها صرخات استغاثة من قبل أبي العلاء لإنقاذ نصوصه من خيبة التأويل التي وجد أبو العلاء الكثير من أصدائها في عصره، فكان المعري يحاول دحض هذا التأويل بتأليف كتب في الردود على الاتهامات التي وجهت

(١) رسالة الملائكة، المعري، أبو العلاء، حققه: محمد سليم الجندي، دار صادر، بيروت، ١٩٩١م، ص ٥.

(٢) مع المعري اللغوي، السامرائي، إبراهيم، المركز القومي، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣١.

(٤) الجامع في أخبار أبي العلاء، الجندي، محمد سليم.

إليه، فقد ألف المعري كتاب «زجر النابح» رد فيه على المزيرين عليه مذهبه، والقادحين عليه شعره، يبين فيه إيمانه ويدحض فيه التهم ثم ألف كتاباً آخر عنوانه «نجر الزجر» زادهم فيه إيضاحاً، فالقول السابق الذي صرح فيه المعري بفقدان ثقته بالمتلقي في مقاربة نصوصه جاء في كتاب رسالة الملائكة وهي من أواخر ما كتب أبو العلاء، فالمنتبع لما يمكن تسميته بسيرة القارئ لنصوص أبي العلاء المعري يجد أن اندماج الآفاق أمر غير وارد في هذه السيرة الإشكالية، فالمعري في إحدى كتاباته النقدية يصرح برفض القراءة الانعكاسية التي فُرت بها نصوصه، فيقول في رسالة الغفران: «إذا رجع إلى الحقائق فنطق اللسان لا ينبئ عن اعتقاد الإنسان؛ لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق ويحتمل أن يظهر الرجل بالقول تدينياً، وإنما يجعل ذلك تزيئاً يريد أن يصل به إلى ثناء... وما يلحقني شك أن دعبل بن علي لم يكن له دين وكان يتظاهر بالتشيع، وإنما غرضه التكب»<sup>(١)</sup> فهذه المنطلقات العلانية في قراءة النص الأدبي كانت مخالفة لما استقر في الأعراف النقدية، من القول بأن النص صورة لقائله؛ لذلك كثرت الأحكام الأخلاقية على الشعراء، وهذا ما سعى أبو العلاء الهروب منه بتعمية الكثير من نصوصه على الفهم، فلجأ أبو العلاء المعري إلى فضاء «الغريب في اللغة» عله أن يحدث بذلك انزياحاً في الدلالات اللغوية، فيتوسع بذلك مدار التأويل للمتلقي، الذي اعتاد على القراءة الانعكاسية التي أوقعته في شرك التناقض بين الأقوال الشعرية للشاعر.

وبعد هذه المقدمة عن طبيعة المتلقي القديم للنص العلائى نحاول استدراج متلقٍ غُيب عن ساحة النقد الحديث، وهو المتلقي القديم لرسالة الغفران.

(١) رسالة الغفران، المعري، أبو العلاء، ت: بنت الشاطي، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ص٤٢٤.

## النص المنسي

لم ينشغل المتلقي القديم بالخطاب النثري لأبي العلاء، فصورة الشاعر هي التي هيمنت على فضاءات المتلقي القديم في النظر لأبي العلاء كمبدعاً فكثرت النقول، والمختارات من شعره في كتب القدماء وظل نثره نصاً منسياً ينتظر قارئاً يكشف عن الوجه الآخر لأبي العلاء كمبدعاً، وهذا ما تم في العصر الحديث، فقد حظي نثر أبي العلاء بالكثير من القراءات النقدية ورسالة الغفران بصفة خاصة. يقول عبد الفتاح كليطو عن هذا الانقلاب القرائي لنصوص أبي العلاء في العصر الحديث:

«لعل أشهر كتاب للمعري بالنسبة إلينا اليوم هو رسالة الغفران. أقول بالنسبة إلينا؛ لأن معاصري أبي العلاء ومن جاء بعدهم إلى بداية هذا القرن لم يعيروه اهتماماً فهم يذكرونه بصفة عابرة ضمن قائمة مؤلفاته دون أن يتعرضوا إلى جانب من جوانبه»<sup>(١)</sup>.

إذاً، فقد ظل نص رسالة الغفران لمدة طويلة من الزمن يشكل رقماً في مؤلفات أبي العلاء، فالمتلقي القديم قد هجر هذا النص، ولم يبق معه حواراً، فتوضح بذلك سمات هذا المتلقي، فنص رسالة الغفران قد كسر أفق توقع المتلقي القديم الذي بحث في نصوص المعري عن فرضياته ومسلماته تجاه النص العلائقي، والجنس الأدبي الذي تنتمي له رسالة الغفران.

« تلقي العمل الأدبي هو جدل بين المتلقي، والنص، فالنص يخاطب المتلقي عبر منظومة من المكونات الجمالية، والوظيفية التي تهدف إلى التطابق مع أفق توقعه، أو كسر هذا الأفق وخلق مساحة جمالية»<sup>(٢)</sup>.

### النص والقارئ:

لكل قارئ في مواجهة أي نص من النصوص سواء الأدبية، أو غيرها، فرضيات، ومسلمات ينطلق منها إلى عالم النص، فالقارئ الخالي من أي تحيزات

(١) أبو العلاء أو متاهات القول، كليطو، عبد الفتاح، دار توبيقال، دار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٩.

(٢) التلقي في النقد العربي، فطوم، مراد، منشورات الهيئة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠١٣م، ص٣٤.

فكرية، ومعرفة هو قارئ افتراضي غير موجود، فالعمل « الجديد يستحضر في ثناياه أشياء قد تم تلقيها من قبل ويضع قارئه في حالة من الاستعداد النفسي ويتشكل لديه من البداية توقع حول ما سيعرضه النص عبر مراحل القراءة، وهنا يمكن معاينة هذا التوقع عما إذا كان سيتحقق، أو يعدل، أو يعاد توجيهه، أو يتم دحضه»<sup>(١)</sup>.

فالنص الذي يتطابق مع أفق المتلقي وتتعدم فيه المسافة الجمالية تسقط قيمته التاريخية، والجمالية، فإن اندماج الآفاق يجعل العمل أقل فاعلية في أحداث التفاعل المنتظر، فالنص الذي لا يخلق جدلاً بين المتلقي وفرضياته، ومسلماته تجاه المكتوب يعد نصاً ذا قيمة تاريخية فقط، فهو قد عزز ما لدى المتلقي من أفكار وتصورات تشكلت من خلال نصوص سابقة على هذا النص.

« كلما أحبط النص توقعات القارئ ارتفعت أسهمه الفنية صعوداً حتى تبلغ ذروة الكمال الفني، والروعة، وإن حقق النص توقعات القارئ هبطت أسهمه الفنية ووقع في حمأة التفاهة، والسطحية»<sup>(٢)</sup>.

هناك بعض الاستدراكات على الاقتباس السابق تقلل من جدية هذه النظرة. يقول هولب: «فإذا أخذت الكتابة العشوائية لحيوان الشمبانزي على الآلة الكاتبة ونشرت على أنها رواية مثلاً، فالمؤكد أنه ابتعدت عن توقعات جمهور القراء. وبعبارة أخرى، فإن المسافة الواقعة بين الأفق، والعمل تعد معياراً غير كافٍ لتحديد القيمة الأدبية»<sup>(٣)</sup>.  
إدًا، فالنص الذي يقول لنا ما نعرفه ويعزز لنا ما نتوقعه يفقد الكثير من حظوظه في البقاء في الذاكرة الأدبية للقراء المتعاقبين.

بناءً على هذه الرؤية المنهجية لوظيفة القارئ وطبيعة القراءة، نحاول مقارنة نص رسالة الغفران بالاستعانة ببعض المفاهيم الإجرائية لنظرية التلقي في محاولة لتقديم إضاءة عن صورة المتلقي القديم لهذه الرسالة.

(١) أفق التوقع عند ياوس ما بين الجمالية والتاريخ، دعيش، خير الدين، مجلة المخبر، جامعة بسكرة الجزائر، ٢٠٠٩م، في النص «ثناياه» والصواب «أثنائه».

(٢) القارئ والنص، شيحة، عبد الحميد، مجلة علامات النقد، جدة، ٢٠٠٢م، ج ١٢، ص ٤٥.

(٣) كاظم، نادر، المقامات والتلقي، بيروت المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م، ص ٢٥.



## التلقي وبناء الأفق:

لم يكن المتلقي القديم خالي الذهن وهو يستقبل رسالة الغفران باعتباره نصاً نثرياً له مجاله الذي ينتمي إليه من حيث الجنس الأدبي، وبوصفه خطاباً أدبياً يخضع للغة الأدبية وطبيعتها الدلالية، بل كان في حالة جدلية بين النص -رسالة الغفران- وما يفرضه عليه أفق انتظاره الذي يمثل «نسق الإحالات القابل للتحديد الموضوعي الذي ينتج بالنسبة لأي عمل في اللحظة التاريخية التي ظهر فيها عن ثلاث عوامل أساسية: تمرس الجمهور السابق بالجنس الأدبي الذي ينتمي إليه هذا العمل، ثم أشكال، وموضوعات أعمال ماضية تفترض معرفتها في العمل، وأخيراً التعارض بين اللغة الشعرية، واللغة العلمية بين العالم الخيالي، والعالم اليومي»<sup>(١)</sup>.

## رسالة الغفران وفن الترسل:

فن الترسل أحد أنماط الكتابة النثرية في المدونة التراثية له رواده المشهورون، ومجالاته المتعددة، وهو فن قائم بذاته له جمالياته الخاصة ونستطيع القول بأن «فن الترسل، أو الترسيل في النثر العربي القديم -أيا كان موضوعه، أو أسلوبه- فن أدبي، أو بالأحرى تشكيل لغوي جمالي يهدف إلى تحقيق نوع من الاتصال الكتابي بين المرسل، والمرسل إليه -على ابتعاد الأمكنة واختلاف الأزمنة بينهما لتبليغ رسالة بعينها تهم الطرفين، وتتكون عناصرها الاتصالية من مرسل، يستخدم اصطلاحاً معيناً، أو شفرة معينة تستخدم في الإرسال، ورسالة يراد تبليغها وقناة تنتقل بواسطتها الرسالة، ومستقبل يفك رموز الاصطلاح، والشفرة ضمن مرجعية مشتركة»<sup>(٢)</sup>.

**بؤس الكتابة:** بعد هذه النظرة المجملة لفن الترسل كشكل نثري في الكتابة نلقي نظرة على تمظهرات هذا الفن في زمن أبي العلاء -القرن الرابع- فنجد أنه قد غرق في الصنعة.

«والحق أن موجة التصنيع في القرن الرابع كانت حادة حدة شديدة، فلم يسلم

(١) جمالية التلقي، من أجل تأويل جديد للنص الأدبي ياوس، روبرت هانز، ترجمة د: رشيد بنحدر، ص ٩٦.

(٢) النثر العربي القديم، النجار، محمد رجب، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط ٢، ٢٠٠٢م، ص ١٨.

منها أحد إلا في القليل الأقل حتى كُتِّب التاريخ أنفسهم رأينا بينهم من يختار لنفسه هذا الأسلوب الجديد من التصنيع»<sup>(١)</sup>.

فالكتابة النثرية وصلت إلى سقف جمالي لم تستطع تجاوزه، وهذا ما جعلها ترتد إلى اللغة في محاولة لخلق أنساق جمالية جديدة عبر «اللعب بالكلمات» وتحفيز اللغة للدخول في علاقات مبتكرة مع الإنسان وفضائه الدلالي، لتنتج بذلك رؤية جديدة للعالم، فالصراع الذي نشأ حول اللغة، ومدلولاتها في الأصل صراع حول «رؤية العالم» وفي السياق العربي يتجلى هذا الصراع في قضايا كبرى مثل المجاز، والتفسير الباطني للنص، والحرفية في فهم النصوص.

«وإذا نحن أخذنا بالأطروحة العامة المقبولة الآن لدى علماء السيميائيات، والإنثولوجيا اللسانية، والقائلة: إن منظومة لغوية ما - الشيء الذي لا يعني مفرداتها، بل أيضاً نحو وتركيبها-، تؤثر في طريقة رؤية أهلها للعالم وفي كيفية مفصلتهم له وبالتالي في طريقة تفكيرهم»<sup>(٢)</sup>.

فالمحاولات كانت جارية قبل عصر أبي العلاء وأثناء حياته للبحث عن مخرج لهذا الانغلاق الجمالي في آفاق الكتابة النثرية، وتمثل تجربة بديع الزمان الهمداني أهم تجربة سبقت أبا العلاء المعري للخروج من هذا المأزق الجمالي «فتح الله على البديع فأملى مقاماته الشهيرة فأحلتها في النثر محل امرئ القيس في الشعر»<sup>(٣)</sup>.

لكن هذا الرأي المغالي في طرحه لا يمنع من الإقرار بأن بديع الزمان حرك التقاليد الراسخة في الكتابة النثرية، ولم يؤسس لمفاهيم وتقاليد مغايرة في الكتابة النثرية، فصنيع بديع الزمان الهمداني في مقاماته ورسائله إعلان عن المأزق الذي وصلت إليه الكتابة النثرية في النثر العربي، فالإسراف في استخدام السجع، والبديع، والجناس الناقص كان محاولة من بديع الزمان لاستنطاق وانبعثت كوامن اللغة التي تكلمت في عصره، يقول شوقي ضيف واصفاً حال الكتابة في عصر المعري: «إن الإنسان ليخيل إليه كأنما تحولت صناعة النثر في تلك العصور عن طبيعتها الأولى تحولاً تاماً إذ

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي، ضيف، شوقي، دار المعارف، القاهرة، ط٩، ٢٠٠٨م، ص٣٠٠.

(٢) بنية العقل العربي، الجابري، محمد عابد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٨، ٢٠٠٧م، ص١٥.

(٣) بديع الزمان، عبود، مارون، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م، ص٢٥.

أصبحت أشبه ما تكون بصناعة أدوات الترف، والزينة، فهي تحف تتمق في أروع صورة للتميق»<sup>(١)</sup>.

فتجربة جمهور القراء مع فن الترسل كانت قائمة على إتقان الزخارف اللغوية وأداء الوظيفة النفعية، وهذا ما جعل هذا الفن يتأس صناعة الكلام.

«واعلم أن صناعة تأليف الكلام تنقسم على ثلاثة أنواع هي كالجنس لها، وهي الكتابة، والخطابة، والشعر، ومن هنا وقع التناسب بينها ولكل منها رتبة من الشرف، والفضل إلا أن صناعة الكتابة ترأس صناعة الخطابة وصناعة الخطابة ترأس صناعة الشعر»<sup>(٢)</sup>.

فالكتابة مقصود منها فن الترسل الذي قد ارتبط بالشأن السياسي فنال من الحظوة الشيء الكثير فأصبح الكُتَّاب بمثابة الوزراء وساسة الدول، فاشتهر ما سمي «بكتاب الدواوين»، فذاكرة القراء في ذلك العصر -عصر المعري- عن فن الترسل روزنامة سياسية تستحضر التاريخ وتقلباته، نعم هناك رسائل خرجت عن المسار لكنها لم يكتب لها الانتشار، والرسوخ في المخيال الجمعي لجمهور القراء.

### المنعطف العلاني:

شكلت تجربة أبي العلاء في الكتابة -النثرية- منعطفا بارزا في مسيرة النثر العربي وتطوره، فالغرائبية التي مثلت أحد مرتكزات خطابه الشعري ظهرت في نثره، فنثره قد اختص «بما اختص به شعره من الغموض، وكثرة الغريب ولا يتصل بنثر عصره إلا بصلة واحدة هي السجع الملتزم»<sup>(٣)</sup>.

الغموض، وكثرة الغريب يشكلان أهم مقومات الخطاب النثري عند أبي العلاء؛ لذلك استغلقت الكثير من نصوصه على الفهم «لا نغلو إذا قلنا إن أهم ما يميز أبا العلاء في جميع نماذجه النثرية أنه كان يطلب الغريب من حيث هو كأن الإغراب زينة

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص ٣١٢.

(٢) مواد البيان، ص ٥٧-٦٥.

(٣) تجديد ذكرى أبي العلاء، حسين، طه، مطبعة المعارف، القاهرة، ص ١٦.

ينبغي أن يتحلى بها جيد أعماله»<sup>(١)</sup>.

فالسؤال الذي يبرز مع كثرة الإحالات إلى استخدام المعري للغريب محاولة تعمية الكثير من نصوصه على الفهم، لماذا انصرف المتلقي القديم عن فك شفرات النص العلائي النثري؟

يقول الشيخ عبد الله العلايلي: «إن المعري كما يبدو لي استحيا اللغة وتلبسها لا لتعبر وفق دلالاتها، بل وفق دلالاته نفسه ولا لتشير إلى ما اجتمع فيها من وحي العصور وروحها الجاثمة، بل إلى ما اجتمع فيها من وحيه ولفقات روحه»<sup>(٢)</sup>.

ومن مقومات فهم خطاب المعري النثري مسألة السياق الثقافي؛ فالرسائل التي كتبها أبو العلاء لا تفهم خارج سياقها الثقافي الذي يشمل >> الاعتقادات المشتركة بين أفراد البيئة اللغوية، والمعلومات التاريخية، والأفكار، والأعراف الشائعة بينهم»<sup>(٣)</sup>.

وعند وضع قضية إغراق المعري في استعمال الغريب، والولع به في سياقها الثقافي يتضح أن استعمال الغريب وطلبه ليس لإظهار المقدرة اللغوية، فمن اعتزل الناس، وهجرهم لا يطلب ودهم وثناءهم بالأعيب لغوية وحشو استعراضية، بل هو يضمّر أمراً جلا يسعى إليه، فلقد «تناقل الباحثون الكلام عن الغريب في عبارة أبي العلاء لم يكن هذا الغريب إلا ترفعاً عن صغائر الناس وتفاهاتهم. كان أبو العلاء مهموماً بالإنسان، وكان إعزازه للغريب نوعاً من الطموح إلى المثل التي ضاعت في عصره وبعد عصره. الكلمات الغريبة هي الطريقة الضيقة التي يراها أبو العلاء باباً لامتحان النفس، والتماسها للمصاعب الكريمة»<sup>(٤)</sup>.

### بواعث الكتابة:

لماذا كتبت رسالة الغفران؟ من الذي أوحى لأبي العلاء بكتابة هذا النص الملتبس؟ هل رسالة الغفران عبارة عن رسالة جوابية أم هي نص مستقل له كينونته

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص ٢٦٩.

(٢) المعري ذلك المجهول، العلايلي، عبد الله، دار الجديد، بيروت، ط ٣، ١٩٩٥م، ص ٥٠.

(٣) المعنى وظلال المعنى، يونس، محمد محمد، ص ١٦١.

(٤) محاولات مع النثر، ناصف، مصطفى، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ٢٠٠٧م، ص ٢٥٥-٢٥٦.

المستقلة؟ على مثل هذه الأسئلة جرى البحث عن بواعث كتابة رسالة الغفران، فالدكتور صالح رمضان يؤكد على الشكل الجوابي للرسالة:

«فقد كتبت الغفران في مقام رد على ابتداء، وهي جوابية لا تختلف من حيث المقام الأدبي عن سائر الرسائل التي تقوم على التخاطب الثنائي وتراعيه في مختلف مراحلها الكتابية»<sup>(١)</sup>.

فرسالة الغفران كتبت ردًا على رسالة ابن القارح، وهذه الرسائل الجوابية قائمة على تعاقد بين المتخاطبين على المرجعيات التفسيرية لفك شفرات النص، وإدراك مغزى الخطاب.

فابن القارح قد أثارته مقولة أبي العلاء عندما سئل عنه فقال: أعرفه خيرًا هو الذي هجا أبا القاسم بن علي بن الحسين المغربي. فكتب رسالته إلى أبي العلاء فكأن ابن القارح فهم من المقولة السابقة أن أبا العلاء ينعته بالجحود، فرسالته إذا يشوبها الكثير من الشك حول مصداقية ما طلب ابن القارح استيضاحه من أبي العلاء، وأكبر الظن أن أبا العلاء قد فهم ما استتبطه ابن القارح من محاولة الإيقاع به وجره إلى القضايا الإشكالية الكبرى في التراث الأدبي، والديني.

ولكن هناك من يرى أن ظهور رسالة الغفران أمر حتمي اقتضته طبيعة الرحلة العلائية في محاوراة الكلمات، والأفكار، وإحسان عباس يذهب إلى أننا «نخطئ كثيرًا إذا اعتقدنا أن رسالة ابن القارح إلى أبي العلاء هي التي دفعت فيلسوف المعرفة إلى إنشاء الغفران دفعة واحدة دون أن تكون مقدماتها حاضرة في نفسه منذ زمن بعيد، ولو أن ابن القارح لم يكتب رسالته لكان لا بد لرسالة الغفران أن تكتب على نحو ما»<sup>(٢)</sup>.

فرسالة ابن القارح تمثل باعثة من بواعث كتابة رسالة الغفران - عند إحسان عباس - فتفسير رسالة الغفران في ضوء رسالة ابن القارح فقط تفسير أحادي للنص يتعامى عن عدة سياقات أحاطت بظهور النص منها النفسي، والروحي، والأدبي، والثقافي.

(١) الرسائل الأدبية ودورها في تطور النثر القديم، رمضان، صالح، دار الفارابي، بيروت، ص ١٢٢.

(٢) محاولات في النقد، عباس، إحسان، دار ابن حزم، بيروت، ط ٢، ٢٠١٠، ص ٢٢٨.



## الغفران وذاكرة المتلقي:

### (أ) الارتباب:

كُتبت رسالة الغفران في أواخر حياة أبي العلاء المعري، فتاريخ وضعها «يظهر من كلام أبي العلاء فيها أنه وضعها نحو سنة ٤٢٤هـ»<sup>(١)</sup>.

فالمتلقي القديم لم يقرأ رسالة الغفران قراءة انعزالية، حيث يشكل النص الجديد قطيعة مع النصوص السابقة، فقراءة رسالة الغفران هي امتداد لقراءة النص العلائي، فالمتلقي القديم يفتح قراءته لرسالة الغفران وهو محمّل بالكثير من التصورات، والأحكام حول طبيعة النص العلائي، فالقارئ القديم في مقارنته للنصوص يختلف مع ما تطرحه القراءة البنيوية للنصوص ورفضها للسياقات المتعددة في فهم النص، وهذا -التصور- يتشاكل مع ما تطرحه نظرية التلقي بشأن السياقات المتداخلة في النص، وأن «السياق الداخلي لا يكفي على الدوام لوضع تأويل متسق، فتدخلات القراء لملء فراغات النص مرتبط بمخططاتهم الذهنية وبخبراتهم وأفكارهم السابقة وبالظروف الثقافية، والاجتماعية المحيطة بظهور النص»<sup>(٢)</sup>.

وبالبحث في المخزون الذهني لدى المتلقي الأول لرسالة الغفران يظهر الارتباب كصفة ملازمة لهذا المتلقي الذي حار في اتخاذ موقف واضح المعالم حيال نصوص أبي العلاء السابقة لما لنصوصه من تعارض مضموني ووعورة أسلوبية.

يقول في لزومياته:

يُدُّ بخمس مئين عسجد وديت  
تحكم ما لنا إلا السكوت له  
ما بالها قطعت في ربع دينار  
وأن نعوذ بمولانا من النار<sup>(٣)</sup>

ويقول في موضع آخر:

لا ريب أن الله حق فلتعد  
باللوم أنفسكم على مراتبها<sup>(٤)</sup>

(١) الجامع في أخبار أبي العلاء المعري، الجندي، محمد سليم، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م، ص٧٤٣.

(٢) القراءة وتوليد الدلالة، الحميداني، حميد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص١١٧.

(٣) اللزوميات، أبو العلاء المعري، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص: ٣٩١.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٣٣.

وتعلق بنت الشاطيء على البيت السابق «فإن الرجل ثبت عند التسليم لله، والقول بعدله وتنزيهه تعالى عن الظلم، والخطأ، والنقصان رافضاً أن يقيس أفعاله تعالى بأحكامنا، فهو تعالى لا يُسأل عما يفعل»<sup>(١)</sup>.

فالتضارب الحاصل بين النصوص لا يحل إلا بقراءة سياقية يتموضع فيها النص في سياقاته المختلفة.

### (ب) الانغلاق:

استقر في وجدان القدماء، وكتاباتهم أن أبا العلاء شاعر في المقام الأول، فكتاباته النثرية في نظرهم كانت نتاجاً حتمياً لما اتصف به من تبحره في معرفة دقائق اللغة وتراكيبها؛ لذلك لم ينشغلوا في البحث عن مقومات الإبداع في نصوص أبي العلاء النثرية؛ لذلك تم حصر القيمة الإبداعية في شعره دون نثره، فالمتلقي القديم لم يوسع رؤيته للإبداع لتشمل نثر أبي العلاء، بل أغلقها على شعره، وربما يعود ذلك أيضاً لارتباط الشعر بالتمتيز لمسألة الإبداع في كتب النقد الأدبي في ذلك العصر، فالأقوال والكتابات النثرية كانت مهمشة في كتب النقد القديم، وهذا أحد المعاصرين يشكو من نتاج هذه النظرة إلى النثر القديم «وإني لأدهش كيف أن مؤلفين مثل ابن خلدون، والطبري، وابن رشد، والغزالي لم يعرضوا علينا في دراستنا للأدب العربي في المدارس»<sup>(٢)</sup>.

فسلب صفة الإبداع من نثر أبي العلاء هو ما جعل المتلقي القديم ينظر إلى هذه النصوص على أنها استعراض من قبل المعري لتمكنه من علوم العربية ويتمظهر في جانبيين هما شروحاته لشعره ولغيره من الشعراء وتفريعاته للمسائل النقدية، واللغوية، والنحوية، فالتلقي هنا تم بشكل جزئي فأخذ من نثر أبي العلاء شقه التعليمي وأهمل مسألة التخيل التي رافقت هذا النثر التعليمي، فبنية الخطاب النثري عند أبي العلاء ليست أحادية، بل مزدوجة، يقول صلاح فضل ملمحاً إلى قصور المتلقي في فهم

(١) الحياة الإنسانية عند أبي العلاء، بنت الشاطيء، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٤٤، ص ١٤٧.

(٢) انتحار المنقذين العرب، الأنصاري، محمد جابر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٩م،

رسالة الغفران: إن القراء قد انشغلوا عن طبيعة الغفران كرسالة أدبية «بقضايا اللغة والشعر وتركوا البنية الكلية الدالة لنص بالغ الذكاء يعتمد على المفارقة ويستثير الوهم الخلاق ويصل بحرية التخيل إلى ذروة لم تشهدها تلك العصور»<sup>(١)</sup>.

### (ج) الاستلاب:

جاء في تاريخ الإسلام للذهبي: «أبو العلاء التنوخي المعري اللغوي الشاعر المشهور صاحب التصانيف المشهورة، والزندقة المأثورة، له رسالة الغفران في مجلد قد احتوت على مزدكة واستخفاف وفيها أدب كثير، وله رسالة الملائكة ورسالة الطير على ذلك الأنموذج»<sup>(٢)</sup>.

صورة أبي العلاء في كتب التراجم من أهم المصادر التي استعان بها المتلقي القديم في فهم نصوص أبي العلاء المعري.

«إن الاستقبال، والتلقّي إذاً لا يكون من فراغ معرفي، أو خبراتي ولا يكون في صحراء من المعاني، بل تغذية جملة الاستعدادات القرائية للمتلقي وخبراته، والمعايير السائدة في عصر ظهور العمل الأدبي؛ كل ذلك يلخصه ياوس في مفهوم (أفق التوقع)»<sup>(٣)</sup>.

فكتب التراجم كانت تمزج سيرة الأديب ببعض النقول من أشعاره، ومقولاته التي قد تكون مجتزأة من سياقها المقامي، والمقال، وهذا ما شكل نوعاً من عدم الإنصاف في الحكم على الأديب ونتاجه الأدبي.

يقول ابن كثير متحدثاً عن المعري « ذكر ابن الجوزي وغيره أشياء كثيرة من شعره تدل على كفره، بل كل واحدة من هذه الأشياء تدل على كفره وزندقته وانحلاله. ويقال إنه أوصى أن يكتب على قبره:

هَذَا مَا جَدَّاهُ أَبِي عَلِيٍّ      وَمَا جَدَّيْتُ عَلَيَّ أَحَدٌ

(١) أشكال التخيل، فضل، صلاح، لونجمان للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م، ص٤.

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء، لجنة من وزارة المعارف، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٨٩.

(٣) أفق التوقع عند ياوس ما بين الجمالية والتاريخ ص ٧٨.

معناه: أن أباه بتزوجه لأمه أوقعه في هذه الدار حتى صار بسبب ذلك إلى ما صار إليه، وهو لم يجن على أحد بهذه الجناية، وهذا كله كفر، وإلحاد قبحه الله»<sup>(١)</sup>.  
يلق محمد سليم الجندي على هذه الواقعة بقوله: «ولا أعرف أحدًا ذكر أنه رآه عليه، وهو غير موجود في شيء من كتبه التي اطلعنا عليها، فلعل من أوصاهم بكتبه لم يجدوا وصيته»<sup>(٢)</sup>.

المتلقي القديم يقف أمام هذه الأحكام والمُسلّمات القطعية التي وردت في كتب التاريخ، والتراجم موقفاً سلبياً، فيقبلها على علاتها، وذلك يعود إلى التقارب بين مجالات الاشتغال بين كتب التاريخ والتراجم وبين صنيع أئمة الجرح والتعديل، فعلموم الحديث تستخدم جهازاً مفاهيمياً بالغ الدقة في الحكم على الحديث ورجاله، وهذا ما تفتقده كتب التراجم، فيظهر الاستلاب كعائق لدى المتلقي القديم لفهم رسالة الغفران نتيجة لهذا التداخل بين كتب التاريخ والتراجم، وكتب الرجال.

#### (د) التجاوز:

تولّد عما سبق من عثرات لدى المتلقي القديم تجاه رسالة الغفران الرغبة في التجاوز وترك هذا النص ينتظر قراءة محتملة من قارئ يقوم بتعديل الأفق السابق. «إن النص الجديد كما هو في عرف «ياوس» يستحضر جملة من التوقعات، والقواعد التي تتشكل من الأفق السائد في الجنس، أو الشكل الأدبي، ثم عمل على تجسيدها مسار الأعمال السابقة فغدت مألوفة معه لكن ألفتها لا تمنع من تعديلها وتصحيحها، أو إعادة إنتاجها أثناء القراءة الجديدة»<sup>(٣)</sup>.

فالنص أصبح من اللامفكر فيه من تراث أبي العلاء، فإهمال الجانب التخيلي القصصي، والتركيز على البعد اللغوي والعقائدي صير هذا النص -رسالة الغفران- وثيقة تبرز مقدرة المعري اللغوية وتصح عن عقيدته وآرائه الدينية؛ لذلك لم يرَ فيها النقاد القدماء أي أبعاد جمالية تستحق الوقوف لاستجلائها، فالنص في نظرهم مزدكة

(١) تعريف القدماء بأبي العلاء، ص ٣٠٦.

(٢) الجامع في أخبار أبي العلاء المعري، ص ٤٤٣.

(٣) أفق التوقع عند ياوس ما بين الجمالية والتاريخ، ص ٧٩.

وتحذلق لغوي، فالمقاييس الجمالية الجديدة التي تتضمنها رسالة الغفران لم تستطع تغيير أفق توقع المتلقي القديم، بل ظل هذا المتلقي أسير السؤال العقائدي، واللغوي، فالبحث عن عقيدة أبي العلاء، ومقدرته اللغوية فرضا على المتلقي القديم تجاوز هذا النص، فغياب الأسئلة هو ما جعل هذا النص -رسالة الغفران- مجرد رقم ضمن مؤلفات أبي العلاء، فنص رسالة الغفران قد خيب آفاق المتلقي القديم من الناحية الجمالية، واتسعت بذلك المسافة الجمالية بين أفق النص وأفق القارئ، وهذا يمثل لدى ياوس أهم المقاييس الفنية لتصنيف العمل الأدبي من حيث الجودة، والرداءة «إن الآثار الأدبية الجيدة هي التي تخيب انتظار الجمهور، إذ الآثار الأخرى التي ترضي آفاق انتظارها وتلبي رغبات قرائها المعاصرين هي آثار عادية جداً إن آثاراً من هذا النوع هي آثار للاستهلاك السريع سرعان ما يأتي عليها البلى، أما الآثار التي تخيب آفاق انتظارها وتغيظ جمهورها المعاصر لها، فإنها آثار تطور الجمهور وتطور وسائل التقديم، والحاجة إلى الفن، أو هي آثار ترفض إلى حين تخلق جمهورها خلقاً»<sup>(١)</sup>.

## عوالم النص:

### (أ) جدل الأنساق:

نصوص أبي العلاء لا تستقي مفرداتها، أو تراكيبيها مما هو شائع، ومستقر في أعراف الكتابة الأدبية، بل هي نصوص تسعى لاستنهاض طاقات اللغة؛ وذلك ببعث غريب اللغة من كتب المعاجم، وإدخالها في علاقات تداولية جديدة، باللجوء إلى المفارقات النصية، وهذا الصنيع أحدث تعارضاً بين عالم المتلقي الخيالي الذي يؤطره أفق توقعه المحدود وبين العالم اليومي المتجدد وتجربته الحياتية القابلة لكسر أفق هذا التلقّي المحدود وتجاوزه نتيجة للمفارقة بين الخيالي، واليومي، حسب ما ذهب ياوس، وهذا ما أحدث جدلاً في الأنساق الجمالية لدى المتلقي القديم، فأفق التلقّي الأدبي في عصره قد تعارض مع تجربته الخيالية، فنصوص أبي العلاء وعلى رأسها رسالة الغفران، كانت تتجه لقارئ ضمني يعي فهم مقاصد المؤلف جراً ما يتحلى به من

(١) في مناهج الدراسات الأدبية، الواد، حسين، منشورات الجامعة، تونس، ط٢، ١٩٨٥م، ص٧٩.



معرفة موسوعية، ومؤهلات لسانية وقدرات تواصلية تمكنه من فهم النص وتأويله، وهذا القارئ هو قارئ افتراضي أي «ليس له وجود في الواقع، إنما هو قارئ ضمني يخلق ساعة قراءة العمل الفني الخيالي، ومن ثم فهو قارئ له قدرات خيالية شأنه شأن النص ولا يرتبط مثله بشكل من أشكال الواقع المحدد»<sup>(١)</sup>.

فنصوص المعري استدعت هذا المفهوم الإجرائي -القارئ الضمني- لما نشأ حولها من جدل وخلاف حول آلية تلقيها «ومفهوم القارئ الضمني بوصفه تعبيراً عن الدور الذي يسنده إليه النص ليس فكرة مجردة مستقاة من قارئ حقيقي، بل هو القوة التحكيمية التي تختفي وراء نوع من التوتر يفرزه القارئ الحقيقي حين يقبل الدور المسند إليه وينشأ هذا التوتر في المقام الأول من الاختلاف»<sup>(٢)</sup>.

### (ب) غرائبية اللغة:

شكلت الغرابة اللغوية أهم سمات النص العلائقي، باستدعاء المعري لغريب اللغة ووحشيتها فهو قد خبأ المعنى وجعلنا ندور في فضاءات الغريب وما يشيعه من تعقيم على معنى النص فالتفسير المعجمي لنصوص أبي العلاء لا يمنحنا المقدرة على تأويل النص، فلا بد من الانتقال من الكفاية اللغوية إلى الكفاية التخاطبية الأدبية التي فرضها أبي العلاء. «يمكن أن ينظر إلى الكفاءة اللغوية على أنها المعرفة المتطلبية لتركيب الجمل اللغوية صحيحة الصياغة، أو فهمها، فإن الكفاءة التخاطبية قد ينظر إليها على أنها المعرفة المتطلبية لتحديد ما تعنيه مثل هذه الجمل عندما يتكلم بها بطريقة ما في سياق معين»<sup>(١)</sup>.

فنصوص المعري تشكل خطاباً أدبياً متماسك الأجزاء، ففهم وتحليل هذا الخطاب كفيل بفك مغاليق نصوص المعري، الذي شكلت غرائبية لغته أهم عائق أمام المتلقي، يصف مصطفى ناصف رسالة الغفران بأنها «رسالة في فن معالجة الكلمات»<sup>(٢)</sup>.

فالمعري يمارس في نصوصه لعبة الخفاء والتجلي، فكثرة «الألفاظ الغريبة

(١) القارئ في النص، إبراهيم، نبيلة، مجلة فصول م.ج، ٥، ١٤، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ١٠٣.

(٢) أيزر، فعل القراءة، ص ص ٤١-٤٢.

الواردة في أعماله -المعري- لم تأت لغاية في ذاتها، أو لتتويج ضروب التجنيس، ولكن لتقوية لعبة التغمية، والألغاز التي جعلها ركناً في بناء معانيه»<sup>(٣)</sup>.

«وأبو العلاء حريص على أمرين يقدم إليك المحسوس يفتنك به ويستوقفك عنده ثم يسلبك هذا المحسوس من حيث لا تدري، وإذا بغيمة تطوف بك، وكأن المحسوسات تصاعد بين يديك»<sup>(٤)</sup>.

فالمحسوس في اللغة هو معناها المعجمي القريب، وهذا ما حاول أبو العلاء المعري الهروب منه في رسالة الغفران، فقراءة رسالة الغفران قراءة معجمية هو ما كان يقترحه أفق المتلقي الأدبي في عصر أبي العلاء الذي أدرك هذا التعارض بين هذا الأفق وبين أفق تجربته الحياتية، فالحياة العقلية، والثقافية في عصر أبي العلاء منحت القارئ تمرساً في التعاطي مع النص الفلسفي الكلامي، والصوفي، مما جعل أبا العلاء المعري يعول كثيراً على دور القارئ المحتمل عند كتابته لنصوصه، وبالتالي فإننا نقف مع أبي العلاء «أمام أفق مزدوج؛ أفق أدبي وأفق اجتماعي ما دام النص لا يقول من فراغ، كما أن القارئ بدوره لا يصدر من فراغ»<sup>(٥)</sup>.

### (ج) المفارقة النصية:

«المفارقة لعبة لغوية ماهرة وذكية بين طرفين: صانع المفارقة وقارئها، على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقة تستثير القارئ وتدعوه إلى رفضه بمعناه الحرفي وذلك لصالح المعنى المخفي الذي غالباً ما يكون المعنى الضد، وهو في أثناء ذلك يجعل اللغة يرتطم بعضها ببعض بحيث لا يهدأ للقارئ بال إلا بعد أن يصل إلى المعنى الذي يرتضيه ليستقر عنده»<sup>(٦)</sup>.

(١) المعنى وظلال المعنى، ص ١٤٨-١٤٩.

(٢) محاولات مع النثر، ص ٢٤٨.

(٣) المتلقي في أدب أبي العلاء المعري، حمدوش، علي، جامعة مولود معمري، الجزائر، ص ٢١١.

(٤) محاولات مع النثر، ص ٢٦٤.

(٥) أفق التوقع عند يابوس ما بين الجمالية والتاريخ، ص ٧٩-٨٠.

(٦) فن القص، إبراهيم، نبيلة، دار غريب، القاهرة، ط ١، ١٩٩٥م، ص ١٩٨.

لا ريب أن الأسلوب الذي اتبعه أبو العلاء المعري في بنائه لنصه الإبداعي يستفز المتلقي في البحث عن المفارقة بمختلف أشكالها التي تموضعت فيها، فالمفارقة من أهم مقومات الخطاب النثري عند أبي العلاء المعري وتشكل رسالة الغفران أخصب الحقول النصية التي مارس من خلالها أبو العلاء مفارقاته النصية، فيقول في رسالة الغفران: «وإذا رجع إلى الحقائق فنطق اللسان لا ينبئ عن اعتقاد الإنسان؛ لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق، ويحتمل أن يظهر الرجل بالقول تدينًا، وإنما يجعل ذلك تزيينا يريد أن يصل به إلى ثناء، أو غرض من أغراض الخالبة أم الفناء»<sup>(١)</sup>.

فهذا التضاد بين اعتقاد القلب ونطق اللسان هو قمة المفارقة، فهي «نوع من التضاد بين المعنى المباشر للمنطوق، والمعنى غير المباشر»<sup>(٢)</sup>. المفارقة في أساسها «رفض للمعنى الحرفي للكلام لصالح المعنى الآخر، أو بالأحرى المعنى الضد الذي لم يعبر عنه»<sup>(٣)</sup>.

فكثرة المتع الحسية في رسالة الغفران والتفصيل في ذكرها، والحديث عنها لم يكن بقصد التفاحش بالقول، كما هو مذهب بشار بن برد، فالمعري حرم نفسه من الكثير من المتع الحسية وبحث عن راحته في البحث العقلي، والروحي، فاللذة الحسية منطقة مجهولة لدى أبي العلاء، فاشتداد أزمة أبي العلاء الروحية، والعقلية في أواخر عصره عند كتابة رسالة الغفران جعلته يخوض هذه المغامرة الحسية، فأبو العلاء كان «يبحث في كل المشاهد الحسية، واللذائذ المشتبهة عن سكينة»<sup>(٤)</sup>.

فأفق المتلقي الأدبي المعاصر للمعري اتخذ من هذه المشاهد الحسية دليلا على إباحية أبي العلاء واستخفافه بالجزاء الأخروي، أما الأفق الاجتماعي المرتبط بالتجربة الحياتية لدى المتلقي، فتتموضع لديه هذه الرحلة إلى العالم الآخر، كأحد تجليات الأزمة الروحية في ذلك العصر، والتي وصلت ذروتها مع الغزالي، وكتابه المنقذ من الضلال.

(١) المعري، أبو العلاء، رسالة الغفران، ص ص ٤١٩-٤٢٠.

(٢) المفارقة القرآنية، العبد، محمد، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٦م، ص ١٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٠٢.

(٤) محاولات مع النثر، ص ٢٦٩.

## (د) التعالق النصي:

بما أن التعالق النصي هو دخول نص في علاقة مع نصوص أخرى سابقة له، فإن رسالة الغفران لأبي العلاء المعري تعد من بين أكثر النصوص التراثية تعالقًا مع النصوص المختلفة، وبخاصة النص الديني، والأدبي، والفلسفي، فهذه النصوص السابقة لنص رسالة الغفران لأبي العلاء شكلت بنية نصية ينطلق منها المبدع أثناء العملية الإبداعية، فالإبداع لا ينشأ من العدم، بل لا بد له من مرجعيات ينهل منها ويتكئ عليها، فالنص الجديد لا يشكل قطيعة مع النصوص التي سبقته، بل يتعالق معها بمختلف أشكالها وأنواعها «إن النص ينتج ضمن بيئة نصية سابقة، فهو يتعالق بها ويتفاعل معها تحويلاً، أو تضميناً، أو خرقاً بمختلف الأشكال التي تتم بها هذه التفاعلات»<sup>(١)</sup>.

إن آلية التعالق النصي تتضح من خلال مفهومين أساسيين هما: الاستدعاء، والتحويل، فاستدعاء آدم عليه السلام في رسالة الغفران لم يكن لغرض ديني، أو تاريخي كما يتبادر إلى ذهن المتلقي وفضائه الدلالي «فيقول ابن القارح يا أبانا صلى الله عليك- قد روي لنا عنك شعر منه قولك:

نَحْنُ بَنُو الْأَرْضِ وَسُكَّانُهَا      مِنْهَا خُلِقْنَا وَإِلَيْهَا نَعُودُ  
وَالسَّعْدُ لَا يَبْقَى لِأَصْحَابِهِ      وَالنَّحْسُ تَمُوحُهُ لِيَالِي السُّعُودُ

فيقول: إن هذا القول حق، وما نطقه إلا بعض الحكماء ولكن لم أسمع به حتى الساعة»<sup>(٢)</sup>.

فالمعري اتخذ من شخصية آدم عليه السلام القادمة من الفضاء الديني قناعاً لكي يمرر رؤيته فيما يخص رواية الشعر وقضية الانتحال، وليلفت أنظارنا إلى ما ورد من أقاصيص-مكذوبة- أحاطت بآدم -عليه السلام- وقصة خروجه من الجنة بغية إيقاظ العقل من سبات اللامعقول الذي شكل أهم العوائق -عند المعري- أمام يقظة

(١) انفتاح النص الروائي، يقطين، سعيد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٩، ص ٤٠.

(٢) رسالة الغفران، ص ص ٣٦٠-٣٦٤.

العقل التي بشر بها أبو العلاء كسبيل وحيد للخلاص من الظلم، والجهل، والاستبداد، فالمعري كان يهرب من فكرة الواعظ المصلح الذي يسعى لفرض رؤيته على الآخرين لما شاع بين الناس من فساد طبقة كبيره منهم ومناقضة أقوالهم أفعالهم والدافع الآخر هو تملل المعري من النسق التقليدي لتلقي العلوم في عصره لذلك « لم يفصل لنا التاريخ الطريقة التي سلكها أبو العلاء في تعلمه ولا بين جميع شيوخه الذين تخرج بهم في العلوم التي تعلمها ولا أوضح لنا ما أخذه عن كل واحد منهم ولا أي كتاب درسه في كل فن »<sup>(١)</sup> لذلك لجأ إلى التواري خلف شخصيات نصوصه وتقديم رؤيته للعالم من خلال عوالم السرد وتقنياته.

وأخيراً هل نستطيع القول إن هناك ثورة علانية تم وأدّها؟.

---

(١) الجامع في أخبار أبي العلاء ص ١٧٦.

## ملخص البحث

يهدف البحث في إلى الكشف عن أنماط التلقي الحديث لرسالة الغفران ووضع تصور منهجي لتحويلات القراءة لنص الرسالة في النقد الحديث، وكان منهجي في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستعانة بما تطرحه نظرية التلقي من تصورات ومفاهيم تعينني على فهم طبيعة القراءات المختلفة التي قرأت بها رسالة الغفران، وجعلت هذه القراءة تحت عنوانين: القراءة المرجعية، والقراءة النصية، فجاءت خطة هذا البحث عبارة عن مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة، خصص التمهيد للمتلقي القديم وعلاقته برسالة الغفران، أما الفصلان فالأول كان تحت عنوان "القراءة المرجعية" ويندرج تحته ثلاثة مباحث: التلقي التوثيقي، التلقي النقدي، التلقي الثقافي، والثاني تحت عنوان "التلقي النصي" ويندرج تحته مبحثان: التلقي السردى، التلقي اللغوي، أما الخاتمة فتم فيها عرض نتائج هذا البحث التي من أبرزها أن قراءة رسالة الغفران خارج فضاءها الثقافي ومرجعياتها الكبرى ولّد قراءات مشوهة تحمل النص ما لا يحتمله، مثل: البحث عن الأجناس الأدبية المعاصرة في بنية الرسالة، لذلك كانت توصية البحث الكبرى هي إعادة قراءة رسالة الغفران وفق منهجية تراعي خصوصيتها - الأدبية التاريخية - الحضارية - مع الاستفادة من المنجز النقدي المعاصر في قراءة النص بما لا يجعل النص يفضي بدلالات غير صحيحة.

الطالب:

المشرف:

مساعد صالح الجهني

أ.د. صالح سعيد الزهراني

## Research Summary

The research aims at detecting the patterns of modern reception of "The Epistle of Forgiveness", and creating a systematic conception of reading transformations of the epistle text within the modern criticism.

My approach in this research is the descriptive analytical approach, by using the perceptions and concepts posed by the Reception theory, which help me understanding the nature of the different readings of The "Epistle of Forgiveness", and I put this reading under two headings: Reference reading and Text reading.

The research proposal consists of an introduction, a preface, two chapters, and a conclusion. The preface is allocated to the old recipient and his /her relation to "The Epistle of Forgiveness", while the first chapter is entitled "Reference reading" and it includes three sections: Notarial reception, Critical reception, and Cultural reception. The second chapter is entitled "Text reading" and it includes two sections: Narrative reception and lingual reception. While the conclusion shows the results of this research, whereas the most important of them is that reading "The Epistle of Forgiveness" beyond its cultural space and major references results in distorted readings, like: searching for the contemporary literary races in the epistle structure, that's why the major recommendation of the research was re-reading "The Epistle of Forgiveness" according to a methodology that takes into account its specialty, historical literary and civilizational literary, and making use of the contemporary critical implementer in a way that doesn't make the text convey false indications.

Student:

Mosaed Saleh Al-Gahny Al-Zahrany

Supervisor:

Prof. Dr. Saleh Saeed



الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٣	ملخص البحث
٤	<b>Research Summary</b>
٥	المقدمة
٥	مشكلة البحث
٦	أهداف البحث
٦	أسئلة البحث
٦	منهج البحث
٧	الدراسات السابقة
٨	خطة البحث
١٢	تمهيد: رسالة الغفران والمتلقي القديم
٣٠	<b>الفصل الأول: القراءة المرجعية</b>
٣٤	<b>المبحث الأول: التلقي التوثيقي:</b>
٣٥	١- مدخل
٣٥	أ- الفضاء الاستشراقي.
٣٧	ب- الفضاء الإحيائي.

رقم الصفحة	الموضوع
٣٩	٢ - اكتشاف النص.
٤٨	٣ - رسالة الغفران وشيوخ اللغة.
٥٢	٤ - الفوضى النصية.
٥٧	٥ - تكامل النص.
٨٤	• مآلات المسار التوثيقي
٨٧	المبحث الثاني: التلقي النقدي:
٨٨	١ - الغفران وجحيم دانتي
٩٥	٢ - الغفران بين العقاد وطه حسين
١١٥	٣ - التأثير والتأثير
١٣٣	٤ - الغفران والكتابة الموسوعية
١٤٥	٥ - مراجعات بنت الشاطئ
١٥٣	المبحث الثالث: التلقي الثقافي
١٥٣	١ - مدخل
١٥٥	٢ - قبل معركة الغفران
١٥٨	٣ - على هامش الغفران
١٧٩	٤ - المعري والثقافات القديمة

رقم الصفحة	الموضوع
١٨٦	٥- الفلسفة العلائية
١٩٩	٦- الغفران والأسطورة
٢١١	التلقّي الثقافي وقلق المعنى
٢١٤	<b>الفصل الثاني: التلقي النصي</b>
٢١٨	<b>المبحث الأول: التلقّي السردى</b>
٢٢٠	١- البنية القصصية.
٢٤٠	٢- زمن الرواية.
٢٤٤	٣- الظواهر الملحمية والدرامية.
٢٤٨	٤- طبيعة التخيل.
٢٥٢	٥- البنية العميقة.
٢٥٤	٦- فضاءات الغفران
٢٦١	٧- التلقي السردى وتحولات القراءة
٢٦٦	<b>المبحث الثاني: التلقّي اللغوي</b>
٢٦٨	١- اللغة العلائية.
٢٧٦	٢- بين النقد واللغة.
٢٧٩	٣- النقد الفني

رقم الصفحة	الموضوع
٢٩٥	٤- استئناف السؤال اللغوي
٣٠٦	٥- مراجعات لغوية.
٣٠٨	إشكاليات التلقّي اللغوي.
٣١٣	الخاتمة
٣١٧	قائمة المصادر والمراجع
٣٢٩	الفهرس